من الآليّة في المقاربة بالأهداف إلى الإدراكيّة في المقاربة بالكفاءات

From the mechanistic approach by objectives to the cognitive approach by the competencies.

عقيلة لعشبي،[1]

جامعة تيزي وزو(الجزائر). akila.lachebi@ummto.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/20 تاريخ القبول: 2025/09/19 تاريخ النشر: 2025/12/15.

ملخص:

تعرض هذه الورقة البحثيّة المقاربات البيداغوجيّة التي اعتمدتها المنظومات التربويّة العالميّة منذ زمن بعيد منها الجزائر وذلك من أجل تحسين تعليمها وجعله مواكبا لمتطلبات التعليم المتطوّر والنهوض بمستواه إلى الأحسن، وذلك بالانتقال من مقاربة إلى أخرى بدءا من المقاربة بالمضامين إلى المقاربة بالأهداف وصولا إلى المقاربة بالكفاءات، هذه الأخيرة التي تسعى إلى جعل المتعلّم مدركا لما يتعلّم على عكس المقاربات السابقة التي جعلت منه عنصرا مستقبلا خاملا وكأنّه آلة تلقين، حفظ، مراجعة، استرجاع واستذكار للمعلومات والمعارف وذلك بسبب أساليب التلقين المختلفة والفاشلة المعتمدة.

كلمات مفتاحيّة: المقاربة بالمضامين؛ المقاربة بالأهداف؛ المقاربة بالكفاءات؛ الآليّة؛ الإدراكيّة.

Abstract:

This research paper presents the pedagogical approaches adopted by the international educational systems, including Algeria, in order to improve its education and improve its level for the better, by moving from one approach to another, leading to the competency approach that seeks to make the learner aware of what he learns, in contrast to previous approaches that made him an inert future element. Because of the different memorization methods adopted.

Keywords: approach to the content; approach to objectives; the competency approach; mechanism; perceptual.

المؤلف المرسل: عقيلة لعشبي، **الإيميل**:akila.lachebi@ummto.dz

مقدّمة:

سعت المنظومة التربويّة العالميّة إلى تحسين تعليمها وتطويره بكلّ الوسائل والطرائق الممكنة، لذا ظهرت مقاربات بيداغوجيّة كثيرة كانت أوّلها المقاربة بالمضامين وبعدها المقاربة بالأهداف وآخرها المقاربة بالكفاءات التي تبعتها المقاربة بالكفاءات الشاملة، وتركّز المقاربة بالكفاءات على كفاءة المتعلّم وتطويرها وتعتبر المتعلّم هو من يصنع الأهداف، وقد جاءت هذه الأخيرة على أنقاض المقاربة بالأهداف التي جعلت من المتعلّم آلة تتحرك وفق مثيرات، لتحلّ المشكلة باعتباره عنصرا فعّالا مدركا ومفكّرا في صنع القرارات.

لذا تطرح هذه الورقة الإشكاليّة التاليّة: ما هي هذه المقاربات، ما خصائصها، وكيف استطاعت المقاربة بالكفاءات استغلال كفاءات المتعلّم وتفجيرها ليدرك ويفكّر ويفهم تعلّماته؟

يعدّ قطاع التربيّة والتعليم قطاعا حيويا وأساسيا في كلّ دول العالم، لذا تسعى الأمم المتقدّمة إلى تبني إصلاحات دائمة لمنظوماتها التربويّة من أجل الوصول إلى تحقيق الأهداف الفعّالة من العمليّة التعليميّة من جهة، والالتحاق بركب التطوّر والتقدّم الحاصل في القطاعات الأخرى من جهة أخرى.

وقد قامت العديد من الدول بمجهودات حثيثة في سبيل تطوير قطاعاتها التربويّة والتعليميّة عن طريق إصلاحات شاملة ترمي إلى تغيير منظوماتها التربويّة والتعليميّة جذريا من أجل بناء مجتمعات ناجحة قادرة على تحمّل المسؤوليات وبناء مستقبل مشرق، ذلك أنّ المدرسة بحاجة دائمة إلى مراجعة وإعادة النظر في مناهجها الدراسيّة وبرامجها وكتبها وهيكلها كلّه لتحقيق النجاح.

ويعتمد الإصلاح التربوي العلمي السليم أولا على كشف نقاط الضعف وتحديدها ومواطن القصور في النظام التعليمي السائد ثم تشخيصها على نقاط واسع، وتحديد كذلك نقاط القوّة تمهيدا لإصلاح القصور والضعف فيه واستثمار نقاط القوّة والمضي في دعمها والعمل على معالجة ما قد يعترض المسار الإصلاحي من عقبات ومشكلات مفترضة في جميع عناصر العمليّة التعليميّة المكوّنة من معلم ومتعلّم ومنهاج ومعرفة.

وقد لاقت مسألة الإصلاح التربوي اهتماما لم يسبق لها مثيل في العقود الأخيرة في الكثير من الدول استعدادا للدخول في الألفية الثالثة من طرف صنّاع القرارات التربويّة والسياسيّة، وقد تزايد الاهتمام بها بعدما رفعت الكثير من الشكاوي والصرخات من رجال العلم والتربيّة لإيجاد حلول للأزمات والإشكالات التي واجهت الكثير من المجتمعات التي كانت تشكو من نقائص كثيرة، ولبحث مسألة تطوير التعليم وتحديثه في ضوء معطيات الألفيّة الجديدة.

وقد ارتبط مفهوم الإصلاح بمفاهيم كثيرة منها: التجديد، التغيير، التطوير، التحديث، ويعرف بأنّه تغيير في بنية النظام التعليمي أو جزء منها نحو الأحسن، واتّخاذ تعديلات شاملة وأساسيّة في السياسة التعليميّة التي تؤدي إلى تغييرات كبيرة في مصادر القوّة والثروة في مجتمع ما(أحمد، 1997، صفحة 246).

وقد دعت الحاجة في معظم الدول العربيّة منها الجزائر إلى ضرورة إصلاح منظومتها التربويّة والتي وجدت نفسها أمام واقع مرير وهو عجز منظومتها على تأطير كفء لمواردها البشريّة خاصة بعد الاستقلال لأنّها ورثت منظومة تربويّة هشّة تمثلت أهدافها في محو الشخصية الجزائريّة بأبعادها الوطنيّة والدينيّة، لذا فإنّ الحاجة ملحّة إلى تعويض تلك المنظومة القديمة بأخرى جديدة تعكس خصوصيات المجتمع الجزائري، ولبلوغ ذلك فقد اتخذت الجزائر ثلاث استراتيجيات للإصلاح وهي:

_ الاختيار الوطني وذلك بإعطاء سياسة التعريب ما تستحقه من الأهميّة.

_ الاختيار الثوري عن طريق تعميم التعليم لكلّ فئات المجتمع.

_ الاختيار العلمي من خلال تفتّح التعليم على العصرنة والتحديث، والتحكّم في وسائل العلم والتكنولوجيا، وتبني أحدث الطرائق والمقاربات في التعليم(زروقي، 2008، صفحة 65).

. الانتقال من المقاربة بالمضامين وصولا إلى المقاربة بالكفاءات:

تبنّت المنظومة التربويّة الجزائريّة عدّة مقاربات في سبيل تطوير مناهجها الدراسيّة بدءا بالمقاربة بالمضامين إلى المقاربة بالكفاءات التي ظهرت حديثا كردّ فعل لإصلاح شامل للمنظومة التربويّة السائدة، من أجل تقديم الأفضل في التدريس وإكساب المتعلّمين الكفاءات والمهارات اللازمة، وعليه فإنّ الغاية من تبني عدّة مقاربات وتحديثها هو الرغبة في تحقيق جودة التعليم والمضي قدما في التقدّم العلمي.

1 . المقاربة بالمضامين:

عملت المنظومة التربويّة الجزائريّة منذ الاستقلال على تحديث مناهجها التعليميّة لتواكب التطورات العالميّة بما أنّ نجاح أو فشل مستقبل أمّة مرهون بطرائق تدريسها ومناهجها التعليميّة، لذا فقد تبنّت الجزائر عدّة استراتيجيات تعليميّة منها المقاربة بالمضامين التي تعتبر أقدم منهجيّة فعّالة في تعليم اللغات حيث تعتمد هذه المقاربة على تزويد المتعلّم بأكبر عدد من المعارف، وتعتبر المتعلّم مستودعا فارغا يجب ملؤه بها، فتصبّ فيه أكبر عدد من المعارف بشتى الوسائل لاسترجاعها أثناء الحاجة.

فهدفها الأساسي هو كميّة المعارف التي يجب أن يتلقّاها المتعلّم في مساره التعليمي لذا فهي مقاربة تحرص حرصا شديدا على إفراغ المحتويات العلميّة في ذهن المتعلّم في ظرف زمني معيّن مسطّر له مسبقا، وتقوم هذه المقاربة على طريقة الإلقاء والتقليد، أي أنّ المعلّم يلعب دور الملقي ويلعب المتعلّم دور المتلقي المقلّد المطالب بحفظ المعلومات والمعارف واستخدامها أو استرجاعها في الامتحانات ليتمّ تقييمه في نهاية المطاف بقياس عدد المعلومات التي تعلّمها مقابل نقاط معيّنة.

وعلى الرغم من محاسن هذه المقاربة في كونها تزوّد المتعلّم بعدد لا بأس به من المعلومات والمعارف إلاّ أنّها لم تخل من نقائص وعيوب تمثّلت أساسا في تغاضيها النظر عن مدى فهم المتعلّم للمعلومات التي يتلقاها أو مدى استفادته منها وتأثيرها على شخصيته وتكوينه وحياته.

لذا فقد فسحت هذه المقاربة المجال لظهور مقاربة أخرى هي المقاربة بالأهداف التي قامت على أنقاض الأولى.

2 . المقاربة بالأهداف:

ظهرت هذه المقاربة حديثا نظرا للتطوّرات التي عرفتها الساحة التربويّة العالميّة من مستجدات حديثة في مجال التعليم والبيداغوجيا، وهذه المقاربة الحديثة تضع نصب أعينها الأهداف المسطّرة لتعليميّة اللغات وقياس الأهداف الإجرائيّة من تعلّمات المتعلّم، فلكلّ معلومة هدف ينبغي أن يتحقق، لذا فقد جعلت من التعلّم الهدف الأساس بدل التعليم.

وتقوم هذه المقاربة الحديثة على التركيز على الأهداف العلميّة التي تتحقق في آخر المسار التعليمي بحيث تركّز تركيزا كبيرا على نتائج المتعلّم التي تظهر على شكل سلوكات محددة مسبقا والقابلة للملاحظة والقياس داخل حجرة الدرس، لذا فالمتعلّم يتعلّم ويتفاعل في الدرس بناء على أهداف محددة يرمي المعلّم إلى تحقيقها، وهي مقاربة لاقت الكثير من الاهتمام لارتباطها بالأهداف التعليميّة المعروفة مسبقا من عمليّة التعلّم.

كما تعتمد هذه المقاربة على تقديم المعارف للمتعلّم ثم النظر في قدرته على الاستجابة لها في حسن أدائه وحفظه.

وتعتبر المدرسة السلوكيّة لواطسون الخلفيّة المعرفيّة لهذه المقاربة، ويقوم أساس هذه المقاربة على مبدأ المثير والاستجابة أي على صبّ المعارف في ذهن المتعلّم ثم قياس كميتها ومدى استجابة المتعلّم لها أثناء الحاجة والتي يجسّدها على شكل سلوكات تعلميّة أثناء الاختبارات.

وقد وجّهت لهذه المقاربة الكثير من الانتقادات المتمثلة في:

ـ ربط التعلّم بالأهداف السلوكيّة القابلة للملاحظة والقياس عليها يجعل التعلّم نظاما مغلقا يتقوقع المعلّم والمتعلّم في قوالب جامدة.

ـ عدم قدرة المتعلّم على تحويل سلوكاته التعلميّة داخل حجرة الدرس إلى سلوكات اجتماعيّة، لأنّ حصر التعلّم في الاستجابة على شكل سلوكات أثناء الدرس يعيق قدرته على تحويل معارفه وقدراته لمعالجة المشكلات التي تعترضه خارج جدران حجرة الدرس حيث يترك معظم مكتسباته في تلك الحجرة ولا يواجه بها المجتمع.

ـ تفتيت الهدف العام للتعليم إلى أهداف كثيرة والاهتمام بها وتفاصيلها الكثيرة يعرقل عمليّة التعلّم.

ـ صعوبة صياغة الأهداف الإجرائيّة حيث يتطلب الأمر صياغة مئات الأهداف للسنة الدراسيّة الواحدة مما يشتت جهود المعلّم(بناني، 2014، صفحة 286،287).

_ نظرا لاعتماد هذه المقاربة على الفلسفة النفعيّة في التعلّم التي تحثّ على تحقيق الفعاليّة والمردوديّة في العمل المدرسي فإنّها غير متفتحة على نظريات التعلّم المعرفي، أو نظريّة التعلّم الاجتماعي، أو نظريّة التعلّم النفسي الاجتماعي...

_ إنّ التركيز في هذه المقاربة على سلوكات معينة كنتيجة لمؤثرات جعل العمليّة التعليميّة تنحرف عن قصدها إلى أفعال تعوّديّة آليّة تعدم الخصوصيّة والتميّز وتستبعد التفكير والابتكار لدى المتعلّم(بوعلاق، 2014، صفحة 50).

إلاّ أنّ أهمّ ما وجّه من نقد إلى هذه المقاربة هو قدرتها على خلق جيل من المتعلّمين الحافظين لعدد من كبير من المعارف ولكن غير مؤهلين وأكفاء لمواجهة الحياة العامة وحلّ مشكلاتها كونهم لم يتعلّموا كيفيّة استثمار تلك المعارف خارج سياق الامتحانات والسلوكات الآليّة الناتجة عن المؤثرات داخل قاعة الدرس، كما أنّ هذه المقاربة لم تستثمر المعطيات المختلفة من النظريات الحديثة في علم النفس والاجتماع واللسانيات والتربيّة المهتمة بشخصية المتعلّم، لذا فإنّ هذه المقاربة تهمل جوانب كثيرة في المتعلّم كالإبداع والتفكير والقدرة على التميّز.

فليس من الغريب أن يستدعي الموضوع إعادة النظر في أساليب ومناهج التعليم والبحث عن الإستراتيجيات الجديدة الكفيلة بحلّ المشكلات واستدراك نقائص هذه المقاربة، وقد تجسّد ذلك باعتماد المقاربة بالكفاءات كبديل للمقاربة بالأهداف.

3 . المقاربة بالكفاءات:

ظهرت هذه المقاربة الجديدة على أنقاض المقاربة السالفة التي جعلت من المتعلّم سجين قاعة الدرس ودروس المعلّم وأفكاره غير القابلة للنقاش ما يجعل المتعلّم يكتسب آليات التكرار والاستجابة والحفظ ويفقد روح الإبداع والتفكير، فالمقاربة بالكفاءات غيّرت الأدوار فجعلت المتعلّم هو المحرّك الرئيسي للعمليّة التعليميّة ويبقى المعلّم الموجّه والمساعد على بناء شخصيّة المتعلّم العلميّة، حيث تسعى هذه المقاربة الجديدة إلى تطوير كفاءات المتعلّم ومهاراته وتفجير قدراته الفكريّة والتواصليّة من أجل تعلّم ناجح قادر على حلّ المشكلات التي تعترض المتعلّم في محيطه الخارجي الاجتماعي باستغلال معارفه.

وتعتبر هذه المقاربة الجديدة إسقاطا للنظريّة المعرفيّة البنائيّة التي تنطلق في التدريس من أهمّ عنصر الذي هو المتعلّم حيث تساعده على اكتساب كفاءات ومهارات بشكل وظيفي حيث تحثّ المتعلّم على الإنجاز والإبداع والممارسة والفهم وإدراك الوضعيات المختلفة لحلّها، كما أنّها تستند إلى النزعة السلوكيّة في التعلّم حيث إنّها لا تهمل أساليب التقييم والأهداف وكميّة المعلومات مثلما هو الحال في المقاربة بالأهداف.

إنّ أهمّ ما يميّز هذه المقاربة هو العمل على تطوير العمليّة التعليميّة حيث تعدّ خلاصة أحدث المناهج التربويّة والتعليميّة على الساحة الدوليّة، وتقوم على أنقاض ونقائص ما سبقها من اعتبار المتعلّم آلة تفرغ فيه المعلومات، خامل الذكر، فأعادت له الاعتبار وجعلت منه أساس المعرفة فركّزت عليه أكثر من المعلّم والمادة التعليميّة، لذا فإنّ هذه المقاربة تسعى إلى تكوين متعلّم لا يكتفي بتلقي العلوم واستهلاكها بل ينبغي أن يكون مفكّرا وباحثا ومنتجا وقادرا على تحمّل المسؤوليّة وإدراك ما حوله من معضلات ثم قدرته على ربط معارفه بالمشكلات والمعضلات التي تعترضه لحلّها.

تقوم هذه المقاربة على أسس مهمّة هي:(ديوي، 1949، صفحة 13)

. جعل المتعلّم محور العمليّة التعليميّة بحيث تراعى ميولاته واحتياجاته فتختار له من المادة العلميّة ما يناسب مستواه ويوظّفه في حياته.

. ربط التعليم بالحياة اليوميّة للمتعلّم حيث تستوحى الدروس والوضعيات التعليميّة من حياته اليوميّة ليتفاعل معها ويفهم المواقف.

. جعل العمليّة التعليميّة عمليّة اجتماعيّة يتشارك فيها كلّ المتعلّمون حيث يتبادلون المعلومات ويساعدون بعضهم البعض على الفهم، فيكون التعاون أساس التعلّم بدل التنافس.

. التركيز على قدرة المتعلّم على الفعل بإنجاز أنشطة ومشاريع وإيجاد حلول.

. التركيز على الفهم حيث إنّ الهدف من التعلّم هو فهم المعارف واستيعابها وتوظيفها بشكل مناسب.

. تعزيز الكفاءات والمهارات التي يملكها المتعلّم وحسن استغلالها.

. مراعاة الفروق الفرديّة بين المتعلّمين، والعمل على مساعدة أصحاب القدرات الضعيفة.

. ضرورة اتصال خبرات المتعلّمين وتعلّماتهم بخبراتهم خارج المدرسة.

إنّ الهدف الأساس للمقاربة بالكفاءات هو تفجير طاقات المتعلّم بتعليمه كيف يفكّر ويدرك ويفهم حتى يتمكن من حلّ المشكلات التي يواجهها في حياته، ثم العمل على تطوير قدراته على التكيّف مع مجتمعه الذي يعيش في استمراريّة أي تطوير قدراته على التفكير والإدراك والإبداع ليستطيع التأقلم في مجتمعه بإيجاد الحلول للصعوبات التي يواجهها.

وفي هذا الصدد يرى المربّون أنّ الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه المتعلّم لابدّ أن يتضمن الكثير من المثيرات التي تحرّك فيه السلوكات وردود الأفعال دون انقطاع كي تثير فيه روح العمل والتفكير والإبداع والإدراك، وأنّ المحيط أو الوسط الاجتماعي الذي لا يهيئ الفرص للمتعلّم كي يفكّر ويدرك ويبدع وسط سلبي عقيم يمنع المتعلّم من اكتساب الخبرة لحلّ المشكلات.

إنّ المقاربة بالكفاءات مقاربة جديدة وتعدّ من أهمّ طرائق التدريس ذلك لأنّها تربط تعلّمات المتعلّم بالحياة، حيث إنّ المتعلّم يجد نفسه أمام صعوبات ومشكلات نابعة من حياته ومحيطه وعليه بحلّها بتوظيف تعلّماته وقدراته ومعلوماته المناسبة لحلّها، لذا فإنّ هذه المقاربة تنمّي القدرات العقليّة التي يتميّز بها الإنسان عن الحيوان والتي تعتبر مفتاح كلّ معرفة علميّة(بناني، 2014، صفحة 292).

والهدف من هذه المقاربة هو تهيئة المتعلّم لأن يكون فردا ناضجا مسؤولا وقادرا على تحمّل المسؤوليّة تجاه نفسه ومجتمعه وقادرا على إيجاد مخارج لكلّ ما يعترضه من صعوبات.

خاتمة:

مرّت عمليّة تعليميّة اللغات بمراحل كثيرة كان هدفها تطوير العمليّة التعليميّة وتحديثها، فكانت المرحلة الأولى باعتماد المقاربة بالمضامين التي كان جوهرها المحتوى العلمي وقد سادت هذه المقاربة لوقت طويل، ثم المقاربة بالأهداف التي كانت ترمي إلى تحقيق أهداف كثيرة للتعلّم فكان صلبها المعلّم وأساسها السلوكات المنتظرة من المتعلّم، ثم المقاربة بالكفاءات التي ظهرت مؤخّرا والتي كان جوهرها الكفاءة وصلبها المتعلّم الذي كان صاحب الأهداف، وقد أتت هذه المقاربات المختلفة بثمارها فكان لها ميزات كما كان لها سلبيات، وقد استطاعت المقاربة بالكفاءات تدارك الكثير من النقائص التي أفرزتها المقاربة بالأهداف، إذ

جعلت من المتعلّم المحرّك الأساسي للعمليّة التعليميّة إذ هو عنصر فعّال يقرر ويفكّر ويبدع ويشارك في بناء العمليّة التعليميّة على عكس دوره في المقاربة بالأهداف التي أهملت الكثير من الجوانب في تعلّماته.

قائمة المراجع:

أحمد بناني. (2014). تعليميّة اللغة العربيّة في الجزائر من المقاربة بالأهداف إلى المقاربة بالكفاءات. مجلة الموروث ، الجزائر، العدد 3.

توفيق زروقي. (2008). النظام التربوي في الجزائر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة.

جون ديوي. (1949). التربيّة في العصر الحديث. مكتبة النهضة .

حمدي علي أحمد. (1997). مقدّمة في علم اجتماع التربيّة. مصر: دار المعرفة الجامعيّة.

مُحَمَّد بوعلاق. (2014). مقاربة الكفاءات بين النظرية والتطبيق في النظام التعليمي الجزائري. الرغاية: المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة.